

شرح قصيدة الهمزية في مدح خير البرية

تعدُّ هذه القصيدة واحدة من أشهر قصائد البوصيري، كما تعدُّ من أهم القصائد في المدح النبوي كونها تتميز بقوة نظمها وبلاغتها وشموليتها، حيث يقول الشاعر في مطلعها: كيف ترقى رُقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتُها سماء، وقد ذكر فيها الشاعر معظم مواقف السيرة النبوية والشمال المحمدية، وقد قال عنها الحافظ ابن حجر الهيثمي: "من أبلغ ما مدح به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النظم الرائق البديع، وأحسن ما كُشف عن كثير من شمائله من الوزن الفائق المنيع، وأجمع ما حوته قصيدة من مآثره وخصائصه ومعجزاته"، وقد نظمها الشاعر على البحر الخفيف وقافية الهزمة المضمومة ولذلك سماها الهمزية، وهي من القصائد الطويلة جدًا فقد بلغ عدد أبيات القصيدة كاملة 457 بيتًا، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح القصيدة:

كيف ترقى رُقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتُها سماء
لم يساؤوك في غلاك وقد حا
ل سناً منك دونهم وسناء

يتساءل الشاعر متعجبًا بقوله: كيف سيتمكن الأنبياء من الصعود مثلما تصعد أنت للوصول إلى مكانتك، وأنت سماء عالية في المكارم والعلو لم تصل إليها أية سماء، ولم يصل أي نبي إلى مقامك، وقد منعهم أن يصلوا إلى مكانتك ضياء مبهر منك وعلو ورفعة، لن يصل إلى مكانتك أحد غيرك من البشر.

إنما ملأوا صفاتك للننا
س كما ملأ النجوم الماء
أنت مصباح كل فضل فما نص
ذُر إلا عن ضوئك الأضواء

وهناك فرق كبير بين صفاتك وصفات البقية كما هو الفرق بين النجوم التي في السماء والماء على الأرض، فأنت يا رسول الله مصباح كل الفضائل تشع على الأرض، وليس هنالك فضيلة في الأرض إلا وصدرت منك ونشرت بها بين البشر.

ليلة المولد الذي كان للذي
ن سرور بيومه وأزدهاء
وتوالت بشرى الهواتف أن قد
ولد المصطفى وحق الهناء

ينتقل الشاعر للحديث عن يوم مولد النبي فيقول: لقد كان ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فرج وسرور وسعادة بالإضافة إلى مشاعر الفخر والكبرياء بما حدث، وقد تناقل هذا الخبر والبشرى العظيمة في ذلك الوقت كل الناس، وراح صدى قولهم ولد المصطفى يتردد في كل مكان، وصار السرور والهناء مستحقًا بينهم.

ثم قام النبي يدعو إلى الل
ه وفي الكفر نجدة وإباء
أماماً أشربت قلوبهم الكف
ر فداء الضلال فيهم عياء

بعد حين جاءت الدعوة وأوحى الله تعالى إليه، فقام يدعو إلى دين التوحيد، ولكن الكفر كان ما يزال قويًا وفي أنفة وعزة وكبرياء، فقد شربت تلك الأقوام الكفر سنوات طويلة، وأصبح داؤهم هذا صعب علاجه.

فبما رحمة من الله لانت
صخرة من إبانهم صماء
واستجاب له بنصرٍ وفتح
بعد ذلك الخضراء والغبراء

وقد شكل رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشًا من المسلمين صارت الصخور تلين له من شدتهم وإبانهم وكبريائهم، وقد استجاب الانتصارات والفتوحات له في كل مكان، حتى أن الأرض المقفرة والأرض الثرية المخضرة استجابت لتلك الانتصارات.

فإذا ما تلا كتابا من الل
ه تلتله كتيبة خضراء
وكفاه المستهزئين وكم سا
ع نبيًا من قومه استهزاء

وعندما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ أمرًا من الله تعالى أو آية كان وكان الله يرسل بعد ذلك عليه رجالًا ليقاقلوه معه، كما أن الله تعالى كفاه من يستهزئ به من الناس، رغم أن كثير من الأنبياء قبله قد تعرضوا للاستهزاء من قبل أقوامهم.

فَهُوَ كَالزَّهْرِ لَاحٍ مِنْ سَجَفِ الْأَكْ
مَامِ وَالْعُودِ شَقِيٍّ عَنْهُ اللَّحَاءُ
كَأَنَّ بَعْشِيَّ الْعُيُونَ سَنَا مِنْ
هُ لَيْسَ فِيهِ حَكْمُهُ ذُكَاءُ

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الأزهار الجميلة جدًا والتي خرجت من بين الأكمام، أو عودًا طريًا جميلًا قد انشق عنه اللحاء، وكاد عليه الصلاة والسلام أن يسبب العما للعيو من شدة ضيائه والذي ترجمته الشمس في السماء.

فَسَلَامٌ عَلَيْكَ تَنْزِي مِنَ الل
هِ وَتَبَقَّى بِهِ لَكَ الْبَاوَاءُ
وَسَلَامٌ عَلَيْكَ مِنْكَ فَمَا عِي
رُكَ مِنْهُ لَكَ السَّلَامُ كِفَاءُ

وفي الختام سلام الله عليك يا رسول الله من الله تعالى، سلامات من الله تعالى تنزل عليك تتري متتابعة من دون توقف لتحتضى بها مكانة عظيمة جدًا، وعليك أيضًا السلام من نفسك أنت لأنه ليس هنالك رجل كفاء لك يوجه إليك السلام إلا أنت، وهذا يدل على مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفس الشاعر، وأنه لا يوجد أحد مثله أبدًا.

الصور الفنية في قصيدة الهمزية في مدح خير البرية

إن قصيدة الشاعر شرف الدين البوصيري تشتمل على عدد كبير من الصور الفنية والتي يعتمد عليها الشعراء عادةً في كتابة الشعر ليتم إيصال المعنى إلى الناس بطرق غير مباشرة وأكثر جمالاً، وتمنح هذه الصور الفنية القوائد العديد من الألوان الموسيقية إضافة إلى أساليب مختلفة لتزيين ورخفة الأبيات الشعرية، وفيما يأتي سوف يتم إدراج أهم الصور الفنية والبلاغية في القصيدة:

- أسلوب الكناية: ورد أسلوب الكناية كثيرًا في القصيدة في قول الشاعر: واستجابت له بنصرٍ وفُتِحَ بعد ذلك الخضراء والغبراء، كناية عن أنه لا يوجد شخص مثله عليه الصلاة والسلام.
- تشبيه بليغ: ورد في قوله: أنت مصباح كل فضلٍ، فقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم بالمصباح، فأنت هو المشبه، والمصباح هو المشبه به، وحذف أداة التشبيه ووجه الشبه.
- أسلوب الطباق: ورد أسلوب الطباق في القصيدة في قول الشاعر: واستجابت له بنصرٍ وفُتِحَ بعد ذلك الخضراء والغبراء، إن كلمة الخضراء عكس الغبراء، فالخضراء الأرض وقت نمو النباتات والخير، والغبراء الأرض وقت الجفاف.
- استعارة مكنية: وردت الاستعارة المكنية في قوله الشاعر: واستجابت له بنصرٍ وفُتِحَ بعد ذلك الخضراء والغبراء، شبه الخضراء والغبراء بالأشخاص، فحذف المشبه به ودلت عليه إحدى صفاته وهي الاستجابة.
- أسلوب الجناس: ورد أسلوب الجناس في قوله: وقد حال سنا منك دونهم وسناء، وهو جناس غير تام لاختلاف بعض الحروف بين سنا وسناء.

معاني المفردات الصعبة في قصيدة الهمزية في مدح خير البرية

توجد كثير من الكلمات التي قد يجدها بعض الأشخاص صعبة وغير مفهومة في الشعر سواء كان الشعر وخصوصًا في الشعر القديم، فقد كانت العرب يستخدمون اللغة العربية الفصيحة، وقد تغيرت اللغة بعض الشيء مع مرور مئات السنوات، وكثير من الكلمات لم تعد مستخدمة، ولذلك توجد كثير من الكلمات التي يصعب فهمها من دون اللجوء إلى معاجم وكتب تفسرها، ومثل هذه القوائد القديمة تضم كثير من الكلمات التي لا تكون مستخدمة في الحياة العامة أيضًا لاختلاف اللهجات العامية عن اللغة الفصحى، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح المفردات الصعبة في القصيدة:

المفردة	شرح المفردة
ترقى	تصعد في السماء
طاولتها	وصلت إليها
سنا	ضياء
ازدهاء	الافتخار والعجب

لا يوجد له دواء	عياء
قاسية وصلبة جداً	صماء
الأرض في أيام الجذب والجفاف بعكس الخضراء	الغبراء
الستارة وقيل الستاران وبينهما فرجة	سجف
الشمس	ذكاء
متابعة ومتتالية	تتري
العظمة	البأواء
كفاء	كفاء